العرب
الثلاثاء 2021/01/12
السنة 43 العدد 11938

رشيد الخديري: رهاني إعادة الاعتبار للشعر المغربي

مراكش (المغرب) – استضافت الفقرة الأولى من "الإقامة في القصيدة" التي تنظمها دار الشعر بمراكش الشاعر والناقد المغربي رشيد الخديري.

وفي بداية الفقرة أكد الشاعر عبدالحق ميفراني، مدير دار الشعر بمراكش، أن "الإقامة في القصيدة" هي برمجة خاصة بالمبدعين المغاربة، والذين زاوجوا في تجربتهم بين الكتابة الشعرية وأسئلة النقد الشعري. واختيار الشاعر والناقد رشيد الخديري إحدى التجارب الحديثة في المشهد الثقافي المغربي، من خلال منجز شعري ابتداء من ديوان "حدائق زارا" وانتهاء بـ"سلالم الضوء"، وتجربة نقدية تراكمت من خلال العديد من الكتب والإصدارات النقدية التي تتأمل راهن والمنجز الشعري المغربي، نابع من هذا الاختيار.

التراكم الشعري في المغرب لم يشهد بروز مدارس شعرية مؤثرة وإنما هي اجتهادات فردية لا غير

واعتبر أن فقرة الإقامة في القصيدة هي فقرة للاقتراب من المختبر الداخلي للشعراء والنقاد المغاربة، أطلقتها دار الشعر بمراكش في مفتتح السنة الجديدة 2021. كما أنها لحظة شعرية ونقدية للاقتراب من تجربة إبداعية مغربية، استطاعت أن تنسج من خلال مسارها الشعري والنقدي انشغالها العميق بأفق القصيدة وأسئلة النقد الشعري.

وأثار الشاعر الخديري في مداخلته الكثير من المباحث في ما يتعلق بالشعر المغربي، حيث بين بداية أن المبدع بطبعه كائن متحول، وإقامته كانت ومازالت داخل القصيدة، لذلك اعتبر نفسه ابنا شرعيا للشعر فقط. والانتقال إلى النقد أفرزته مرحلة الدراسة الأكاديمية، والتي لم تكن اختيارا شخصيا، بقدر ما كانت تنطوي على احتياجات ومرجعيات واعتبارات أخرى.

وأكد أن الشعر المغربي ظل مظلوما في الدراسات النقدية، ومسار الناقد ينمو بشكل مواز مع مسار الشاعر، معتبرا أنه رغم التعدد اللغوي والثقافي الذي يشهده المغرب الشعري، لم تستفد القصيدة المغربية من هذا التنوع والغنى، ولم تحاول مأسسة الشعرية المغربية.

ويلاحظ الخديري أن التراكم الشعري في المغرب لم يشهد بروز مدارس شعرية مؤثرة، وإنما هي اجتهادات فردية لا غير، عكس المدارس الشعرية في المشرق والغرب، في حين لم تظهر ولم تتأسس هذه المدارس والاتجاهات مغربيا. هناك خلل ما داخل القصيدة المغربية، بحكم أن المغرب الشعري لم يعرف مدارس واجتهادات جماعية، وحتى على مستوى النقد، ليس هناك إلا مقاربات تجزيئية، يمكن أن نجد مقاربة لديوان واحد، ولا نجد مقاربة منجز ومتون شعرية.

وينبه الناقد الخديري إلى أن إحدى إشكاليات مقاربة الشعر المغربي تظل إشكالية التحقيب، هذا المعطى الذي يثير حفيظته بشدة، على اعتبار أنه لا يسمح بتمثل عميق للتجربة الشعرية المغربية من الداخل، بينما تأويل النصوص من الداخل أهم وأكثر فاعلية إجرائية.

والشعر المغربي، في رأيه، تجاوز مرحلة الاحتجاج (الشعر السبعيني)، على حساب جماليات اللغة والتكثيف، لذلك استدعى الخديري مقولة تشبه الشاعر بالملاكم، إذ عليه أن يتمرن يوميا حتى لا يسقط أرضا، وهو ما يدفع الشاعر إلى خلق تراكم قوي لتجربته والحفر في مساراتها، رغم أن القصيدة المغربية لم تفرز تجارب خاصة يمكن أن تنعكس على مستويات القراءة.

وفي محطة ثالثة، وللاقتراب أكثر من المختبر الداخلي للشاعر والناقد رشيد الخديري، أثار هذا الأخير مقولة يعتبرها أنطولوجية، إذ يؤكد أنه سيبقى ابنا شرعيا للشعر وإن تغيرت البوصلات. وديوان "حدائق زارا" جاء نتيجة لمعاناة خاصة وانفتاح على الفلسفة، نظرا إلى طبيعة الشعر، بحكم أنه من أصعب الأجناس الأدبية.

ويلاحظ الخديري أن هناك استسهالا لكتابة قصيدة النثر، والعكس هو المطلوب، كما سجل تطاحنا بين التجارب وكتابة الأنماط الشعرية. في حين أنه مثلا نجد القاص أحمد بوزفور "شاعرا للقصة"، ورسالته الأكاديمية خصصها للشعر، وحتى بعض اختيارات عناوين قصصه لا تخرج عن هذا السياق (قصة فعولن مفاعيلن).

ويرى الخديري أن تجربته القصصية والروائية لم تكن إلا تمثلا للشعر. ونظرا إلى سلطة المقروء، في بداية مساره الإبداعي، خصوصا الفلسفة الألمانية، ومحاولة "قتل الأب رمزيا"، فالكتابة ظلت تعيش في داخله صراعا متواصلا ومتجددا. لذلك فهو يميل في كتاباته، النقدية مثلا، إلى اللغة الرصينة، بعيدا عن إغراق القراءات بالمصطلحات والمفاهيم. وشعاره اليوم هو إعادة الاعتبار للشعر المغربي، بل يشكل رهانه المعرفي.

ويعتبر أن اللجوء إلى السرد إفراز طبيعي لعدم استطاعة القصيدة أن تجيب على كل ما يدور في داخله.

والشاعر رشيد الخديري، بدأ نيتشويا من حدائق زارا ثم عاد إلى ذاته وإلى سؤال التشظي، مع توالي إصداراته الشعرية، وذلك مرده لمجموعة من الانكسارات والجراحات، والانتقال تم على مستوى النصوص أيضا.

واختتمت فقرة الإقامة في القصيدة بأن قرأ الشاعر من ديوانه "مقام العشق"، ونصوصا أخرى من دواوينه "حدائق زارا" و"خارج التعاليم" و"سلالم الضوء".

وشاركت الشاعرة والكاتبة والمشتغلة في مجال التنشيط السوسيوثقافي نوال شريف في فقرة "الإقامة في القصيدة"، وقدمت شهادتها العميقة حول تجربة رشيد الخديري الإبداعية والنقدية، إذ اتجهت إلى مقاربة سؤال الإقامة في القصيدة كاستعارة وسفر.

أنا ابن شرعي للشعر

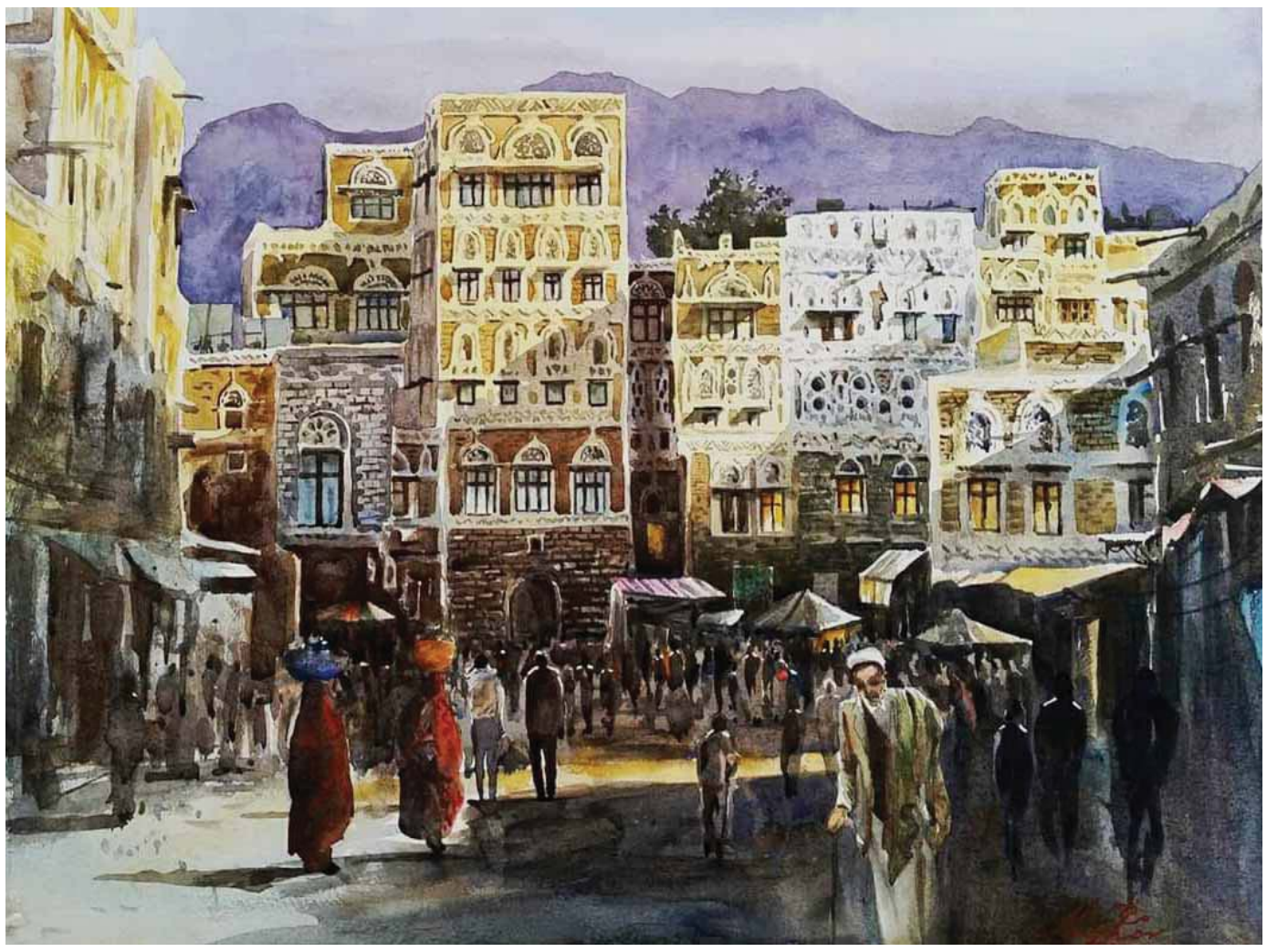

اليمن أرض حكايات خصبة (لوحة للفنان نزار مظهر)

كاتب يمني يرصد المعاناة عبر قصص وروايات تغلب عليها اللغة الساخرة

سامي الشاطبي: الأدب يخوض رحلة مروعة من الورق إلى العالم الرقمي

في الظروف الإنسانية القاسية التي تخلفها الحروب والنزاعات يكون الأدب شأنه شأن الفنون الإبداعية الأخرى وسيلة لترميم الروح البشرية وإعادتها إلى صوابها الإنساني وتوازنها الفكري والعاطفي، وهذا ما يسعى إليه الكثير من الأدباء اليمنيين اليوم. وربما ما يستجد في بلد عرف صراعات مريرة ومتعاقبة، هو أن جنس الرواية بات متصدرا أجناس الأدب التي تحاول تجاوز آثار الدمار، رغم الحصار الذي يتعرض له. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الروائي اليمني سامي الشاطبي في إطلالة على واقع الكاتب والكتابة في اليمن اليوم.

صالح البيضاني
صحافي يمني

في تجربة إبداعية ممتدة لأكثر من عقدين استطاع القاص والروائي اليمني سامي الشاطبي أن يترك بصمة في المشهد الثقافي اليمني، الذي اقتحمه كما يقول لـ"العرب" منذ وقت مبكر كأصغر كاتب قصة يكتب وينشر قصصه آنذاك.

وعن تجربته المغايرة تلك يقول الشاطبي "بالتأكيد كانت ومازالت تجربة مروّعة، مروعة لأن المشهد الثقافي شهد أثناءها انتقالا حادا إن جاز لي الوصف من عوالمه الورقية إلى عالم الفضاء الإلكتروني".

ثقافة مشلولة

يضيف "نحن محظوظون، لأننا آخر جيل ربما عاش اللحظات السعيدة للثقافة الصادرة من ينابيعها الأصلية التي يتصدر فيها دور الورقة والقلم، الكتاب الورقي والصحيفة الورقية، لكن لم نكن محظوظين عند حلول عالم الثقافة الفضائية الإلكترونية، لأننا لم نتمكن إلا بصعوبة بالغة وخلال وقت طويل نسبيا من استيعاب تلك المتغيرات وتحقيق الانتقال غير السلس إلى العالم الإلكتروني. لقد انضممنا أخيرا إلى هذا العالم، ولكنه الانضمام المتأخر جدا، حيث سبقنا من ليست لهم علاقة بالثقافة وأشاعوا منتوجهم على أنه ثقافة".

يقلل الشاطبي من انعكاسات الحرب على المشهد الثقافي اليمني، حيث يقول في حديثه لـ"العرب" إن اليمن شهد طيلة ألف عام على سبيل المثال أكثر من 200 حرب تقريبا، بمعدل حرب واحدة كل خمسة أعوام.

ويضيف "الحرب من منطلق هذا الإحصاء المؤكد افتعال متكرر في حياة اليمنيين، فحربنا هذه التي اندلعت مطلع العام 2015، لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة، وانعكاساتها تجلت في شلّها للمؤسسات الثقافية وانكشاف صورة ما كان يظنه القارئ مثقفا كونيا. صورة مثقف محصور في عالم القرية، مؤطر ومؤدلج سياسيا وحزبيا لا يحمل سوى تنظيرات متلونة، بالطبع لا يسري هذا على الجميع بل على الأغلب".

وعن واقع المشهد الثقافي بعد حوالي ست سنوات من الحرب والصراع السياسي المحتد، يؤكد الشاطبي بعبارة لا تخلو من التشاؤمية المرتبطة بواقع اليمن اليوم "لم يعد في اليمن مشهد ثقافي، فالمؤسسات الثقافية مشلولة وأغلب المثقفين كشفوا عن صورهم اللامثقفة وأنصاف المثقفين يسيطرون على العالم الرقمي".

ويشير الشاطبي إلى أن استعادة المشهد الثقافي لليمن باتت مهمة شاقة وعسيرة تتطلب "ما هو أكثر من الجهود التي بذلها الرعيل الأول من الأساتذة الرواد والمؤسسين مثل عمر الجاوي والبردوني ولقمان ومحمد عبدالولي وزيد مطيع دماج".

الرواية طفل يتعثر

أصدر الشاطبي عددا من الأعمال القصصية والروائية، مثل "أنف واحد لوطنين" و"مشروع ابتسامة" و"يا قمر يا قميرة"، كما يستعد لاستقبال روايته الجديدة التي تحمل عنوان "تائه في إثيوبيا".

وعن رؤيته لواقع الرواية اليمنية اليوم يقول "الرواية اليمنية مثل الطفل الذي كلما خطى خطواته الأولى ظهرت أمه وكسرت رجله. والأم هنا رغم افتراضيتها المشبعة بالرحمة، تمثل اليمن، والذنب ليس ذنب الأم اليمن، فهي ضحية، تعرضت إلى غسيل دماغي عميق من أشرار أظهروا لها الابن شرا مستطيرا والشر المستطير خيرا منيرا".

وفي رده على سؤال لـ"العرب" حول مغامراته في عوالم الكتابة الإبداعية، والخط الذي يقف عنده مرارا، وقدرته على المحافظة على ذلك الخط الفاصل بين قوالب الإبداع والتجارب الأدبية، يقول "لست مغامرا بالمعنى الحرفي ولكن يمكن أن أؤكد أن لي محاولات لاكتشاف مكامن الوجع وتقريعه، والوجع هنا محصور في فئة معينة من الناس هي فئة 'المولدين' أي اليمنيين المولودين في الخارج وخاصة أفريقيا ومن هم من آباء يمنيين ومن أمهات أفريقيات".

ويتابع "المحاولات بطبيعة الحال تقف عند ذلك الخط، وما بين المحاولات والخط، ثمة حكايات مروعة عن هذه الفئة من الناس والتي تعرضت ومازالت تتعرض للكثير من المحن والأسى، فأن تعيش بين وطنين كلاهما لا يعترف بك ويتعامل معك بعنصرية، جهنم بحد ذاتها".

وينفي الشاطبي عن أعماله السردية وخصوصا الروائية منها، انزياحها نحو الغموض في ظل ما يدور من صراعات تتطلّب المكاشفة، مشيرا إلى أنه لا يعمد في كتاباته إلى الغموض ولا إلى إضفاء ما يصفه بـ"البهارات الجنسية" بقدر ما يسعى إلى سرد "حكايات عن تلك الفئة من الناس والتي تعيش وحيدة هناك، مدانة ومتهمة في وطنيتها وانتمائها لمجرد أن أحد أبويها غير يمني".

ويشير إلى أن "المولدين" الذين ينحدرون من أب يمني وأم أفريقية على وجه الخصوص هم القضية التي تسيطر على جزء كبير من تجربته الإبداعية، مضيفا "علينا أن نعترف بأنهم عانوا ومازالوا، في ظل مجتمعين سواء في اليمن أو إثيوبيا، كلاهما لا يعترفان بهم، وموجز القصة أنني أنقل تلك المعاناة في شكل قصص وروايات تغلب عليها اللغة الساخرة".

معركة الأدب

من المعروف أنه غالبا ما تكون العلاقة بين الكاتب كمبدع والسلطة علاقة صدام أو تنافر، وفي حديثه عن العلاقة بينه ككاتب وبين السلطات المتعاقبة في اليمن، وخصوصا تلك السلطات المتعاقبة التي تسيطر على مجريات المشهد اليمني في العقد الأخير، يقول الشاطبي "كل سلطة في اليمن هي نسخة مشوهة من السلطات السابقة، سلطات تحدث الفوضى من أجل تسهيل عمليات السرقة. تدعم كل فكر أصولي ووصولي متحجر من أجل ضمان استقوائها على الفكر الحر والمستنير".

سامي الشاطبي

الرواية صوت مؤثر وقوي تقف بثقة في مواجهة التخلف

ويضيف "لاحظ معي كيف شهد اليمن خلال مئة عام أكثر من 50 سلطة حكمت، لماذا تراها تسقط؟ الإجابة ببساطة شديدة، لأنها لا تتعلم من التجارب السابقة، حيث تدعم الفكر الأصولي والوصولي وتحارب الفكر الحر المستنير".

ويبدو الروائي اليمني مترددا حيال مآلات علاقته بالكتابة، حيث يقول إنه قد يتوقف في أي وقت، غير أنه يذهب إلى أهمية دور الكتابة في خلق مجتمع مدني واع، لافتا إلى أن "ما تبقى من مظاهر المدنية في اليمن هو نتاج الكتابة والنشر، ونتاج المؤلفات التي حاربت التخلف والقمع والرجعية بالقلم".

وعن دور الرواية في هذه المعركة يقول "الرواية صوت مؤثر وقوي، تكاد تكون الوحيدة الواقفة بثقة قرب خط المواجهة مع جبهة التخلف".